ذاكرة رحيل

مروة ابو ضيف

ذاكرة رحيل

نصوص

مروة أبو ضيف

الطبعة الأولى

٢٠٠٨

دار اكتب للنشر والتوزيع

٠٠٢٠١٢٩٢٥١٥٩٢

المدير العام: يحيى هاشم

www.oktob.net

dar_oktob@gawab.com

تصميم الغلاف: ميريت بكير

رقم الإيداع:٢٤٠٢٨/ ٢٠٠٧

ذاكرة رحيل

مروة أبو ضيف

نصوص

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع

رؤيا ١

دائما ما أحببتِ القطار البعيد حيث يرحل الغرباء
الغرباء الذين ليسوا إلا ابتسامة بعيدة و سترة متربة
الغرباء الذين يدهسون أصابعك المتشبثة بالبقاء
ثم يرحلون مخلّفين وراءهم غربة أخرى
تحبينهم وكأنهم جاؤوا ليبقوا و تتذكريهم
و كأنهم لم يرحلوا أبدا

ربما تلاحظ أنك لم تعد جميلاً كما كنت سابقاً ، كمـــا أن الطيور لم تعد تحبك كما اعتادت أن تفعـــل ؛ لا العـــصافير تشاطرك رغيفك الصغير ، و لا أصدقائك ضحكاتهم رائقـــة كما كانت في السابق . الطرق زادت اتساخاً لكثرة الغبـــار الذي نثرته خطواتك بها ؛ و الهواء اختنق قليلا لأنك سحبت من نقائه أكثر مما يجب ، التجاعيد لم تستطع أن تمنحك مـــا تستحق من حكمة ، و لا الوحدة علمتك أن تغلـــق فمـــك قليلاً ؛ حتي لا تسبب الضجر لآخر من تخلف من الأصـــدقاء عن اللحاق بقطار الحياة الصاخبة .

لم تنجب للعالم أطفالاً أكثر جمالاً من أطفال الشوارع ؛ ولا حتي في مستوي جمالهم المتواضع ، لم تنجب للعـــالم أطفـــالاً علي الإطلاق . كذلك طيوز الزينة التي طالما أطلقتـــها مـــن

الأقفاص التهمتْها جميعاً القطط المبعثرة بين طبقـــات الأرض و السماء علي التساوي .

لا الحياة علّمتك أن تحبها بطريقة مناسبة ؛ و لا تعداد الموتى اللامتناهي علّمك أن تكرهها كما ينبغي .

طالما أحببت الكمان ؛ إلاّ أنك و لـــلآن لم تـــتعلم كيـــف تستخدمه؟! لو أنك تعلمت فن السينما ربما كان باستطاعتك الآن أن تصنع فيلماً سينمائياً رائعاً عن هزليّـــة الحيـــاة الـــتي استطعتَ بمفردك تماماً أن تصنعها واسعة كحلـــم و بيـــضاءَ خالية من أية تفاصيل ؛ لا انتـــصارات تـــذكر و لا هـــزائم تستحق الإشادة بها . كذلك لا صـــخب كـــافٍ ليـــصنع موسيقى تصويرية – قطعاً ستكون مكررة – و لا أشـــخاص عدة تربكك بحبكة درامية ليس باستطاعة أحـــد أن يجعلـــها متفردة تماماً . لذلك فلو أنك كنت قد تعلمت فن الـــسينما لكان بإمكانك كما تري أن تصنع فيلماً مختلفاً تماماً .
ربما لم تعد جميلاً كما كنت سابقاً و لا أصبحت جميلاً كما توقع لك الجميع قديما ، لكنك و قطعاً تمتلك الآن ظلاً أكثر

طولاً عن ظلك القديم ، و هـو انتـصار ربمـا لم يـستطع الكثيرون إنجازه ، ذلك أنّهم حتي و إن ازداد ظلهم طـولاً ؛ لن يلاحظوه كما ينبغي ، ليس كما تلحظه أنت.

كذلك أود أن أعتقد أن الطرق لا تحب ظلهم كما تحـب ظلك أنت ، لأنك لا تحب الطريق لا تكرهه ، لا تـتكلم لا تصمت ، لا تتجاهل إشارات المرور و لا تلحظهـا لـذلك أعتقد أن السيارات العابرة لا تدهسك تماماً ، و لا تـستطيع كذلك أن تقرب ظلك فمن غيرك يمكن أن تتبعه إشـارات المرور ؟!

هذا و إن حدَّقت في ملامحك جيداً ؛ ستجد أنك لا تـشبه أحداً ، إنك ربما لا تشبهك جيداً ، ليس كما ينبغي لرجل أن يشبه نفسه .

ربما كثرة العناوين و الأحداث عبثت بملامحك قليلاً أو إنـك اخترت هكذا شكلاً ليكون أكثر ملائمة للعناوين، هكذا لن تبكي كثيراً علي الموتى ، لن تلتفـت لأحـداث الـشغب، و قطعاً لن تبالي كما ينبغي بالأرض الفارَّة من تحت قدميك،

كما أن ملامحك هكذا تليق بظلٍّ أكثر طولاً من ظلك القديم، كذلك لن يلحظك العابرون في مرورهم اليومي الثقيل بتفاصيل الحكايا ، هكذا تدخل بيوتهم دون أن يلتفتوا إليك و دون أن تعبأ بآلامهم أو تحقد على أفراحهم الصغيرة و تستطيع أن تمشي في جنازة الولد المقتول برصاصتين، رصاصتان فقط كانتا كافيتين تماماً لوأد حكاية بأكملها من على وجه هذي الأرض الواسعة ، أما أنت بظلك الطويل فليس باستطاعة أي رصاص أن يسلبك ذرة هواء واحدة كذلك حكاية بدون تفاصيل لن تغري أحد بوضع نهاية ما لها هذا العالم ؛ لم يستطع أن يسبب لك الدوار، لم يُغرك بدرجة كافية لكي تنخرط تماماً في أحداثه اليومية ، كذلك لم يمنحك ما يكفي للبعد عن ضوضائه في هدوء ذاتيّ ، لذلك لم تشغل كما ينبغي لترتيب قناعات مسبقة تواجه بها الهواء حين يفاجئك بصباح الخير، و لا المساءات المظلمة التي تضطر أن تواجهها بمفردك و بدون ظلك الأكثر طولاً، و اضطررت أن تكتفي بالمرور اليومي بالطريق دون أن تحبه أو تكرهه، لكنني مازلت أود أن أعتقد أن الطريق يحبك أكثر ؛ كذلك يفضل ظلك عن ظل الآخرين . لم تعد جميلاً كما كنت سابقا.. ربما ، لكنه لم يكن من الممكن أيضا أن تحتفظ بهذا

الكمّ من اللاشئ لو حافظت علي جمالك القديم ، و العصافير التي شاطرتك الرغيف القديم قد أصابتها الـــشيخوخة علـــي أية حال ؛ و محتمل جداً أنها هي الأخري لم تعد جميلة كمـــا كانت سابقاً.

- دوّن اسمك علي الأشياء جيدا -

هكذا اعتادوا أن يقولوا لك لكي تحتفظ الأشياء بذاكرة لك، لم يفطنوا كل هذا الوقت إلى أن الأشياء ذات الأسماء الكثيرة المدونة علي جدرانها لا ذاكرة لها ، ذلك أنها لا تملـــك قلبـــاً يحتفظ بالأسماء بعيدا عن الغبار، لكن لا يـــستطيع أحـــد أن ينكر أنه قد رأي اسمك كذلك علي بعض الأشياء التي بـــلا ذاكرة . و هكذا كنت مثالياً جداً ، عادياً جداً ، لم تـــسبّب الضجر للأشياء و لا حتي للبشر بدرجة كافية ، لم يستأذنك العابرون قبل عبورهم و لا الراحلون، لم تقبل ؛ لم تـــرفض ؛ لم تحزن ؛ لم تفرح ؛ و لهذا كان لزاماً علي الطريق أن يحبك أكثر ، فلا أحد مثلك بإمكانه أن يسير به يوميـــا بحياديّـــة مطلقة. و هكذا بإمكانك أيضا أن تقول أن انتماءك لم يكن يوما للطريق ؛ لا للأشرار ؛ لا للطيبين ؛ لا لحكايـــا الجـــدة القديمة و لا لتقنياتهم المفزعة . لم تعبأ بـــذاكرة الرمـــل ولا بذاكرة الرصاص ، وحدك أنت التزمتَ تماماً بالظلّ ، لذلك

فلا تحزن كثيراً لأنك لم تعُدْ جميلاً كما كنت سابقاً فــرغم كل شيء استطعتَ أن تحظى بظلٍّ أكثر طولاً مــن ظلــك القديم .

حاولتْ أمي جاهدةً أن تعلمني كيف أحيا ، كيـف أحـب الحياة و نغماتها الراقصة علي شفا جمرة حزني المتقدة ، كيف أن العالم خلفي أو أمامي علي - حد قولها - يغنّي و يرقص و يتزاوج و يتكاثر ، و أنا في شرنقتي أتـضاءل و أتآكـل و تخرج رائحتي العفنة تجرح مسام أمي الوديعة المحبة للحياة .

حاولتْ جهد أمومتها و جهد ما تعلمت من فنون الكلام - القليلة - و جهد ما خبرتْ كامرأة أن تقنعني أن الأنثـى خُلقت جميلة ؛ و خلقت أمًّا و خلقـت للرجـل الأقـوى و الأنفع و الأصلح، و أن العشّ لا بدَّ له أن يُبنى و أن يزيّنـه الذكَر الأجمل ؛ و الأوفر ريشاً ؛ يملؤني نشوة حـين يحـطُّ جناحه علي جراحي النتنة ؛ و النتنة ؛ يمنّي بي و يبشّر شيخ قبيلتنا أن الفرس الجامح سينجب مُهراً أكثر جموحاً . حاولتْ جهد أمومتها أن تقنعني أنني غيري ، و أن الوسواس الـرجيم

سوف يزول و أن روحاً أخري ستسكنني حين تحط القبلـــة الأولى على شفتي .

حاولتْ جهد قسوتها أن ترغمني على أن أتعلم ، و حاولـــتُ أنا جهد ما ملأ مسامي من حب و إيمان مُتبقٍ مـــن رحلـــة كنزي بآيات العشق أن أتعلم ، و الآن بعد مـــرور بعـــض الوقت في دأب و دراسة و محاولة للـــتعلم و الإســـتذكار ؛ أجدني أتعلم كيف أموت .

أحياناً تهاجر اليمامات إلى ما بعد السموات السبع ؛ تهـــرب من أي طيف قد يعلُق بأي منها من غبار الأرض ، و بنـــادق الصيادين و أفخاخهم البرَّاقة الأنصال . ترحل ؛ توغـــل في رحيلها ، و عبورها في سديميات عصور الحلـــم و الـــوهم و عصور القهر ، لكنها تفاجئها الأصداع الممتـــدة خلـــف السموات السبع و حتى سابع أرض ؛ يفاجئها نحيب الشمس و شروخ النجمات ، ودموع الآلهة الثكلى في طبقات العمر الحلزونيّ ، تفاجئها صورة الصياد ؛ محفورة بجبـــات القلـــب تتململ من وجع الدهشة ، و اتساع السجن برحب الحلم ، و فضاء الروح .

يا الله ؛ حتى اليمامات لا تجد مكاناً للهجرة ، و تأتيني حلماً يعجز كل المفسرين عن فــكِّ طلاسمــه ، إلا رؤاي تــراك، و تفسرك خيالاً رائقاً كعينيك حبيبي ، تذوِّب النجمــات في أنفاسك الشفافة ، و ترسلها في مداراتي المرتبكــة فتــضيء لكنها تزداد ارتباكاً ، فبين النصل و بين أول قطرة دم عمــر من ندم ، و بيني و بين عشقك عمر من خــوف و جنــون و مجون ، بين عربدة أحلامي و سكر هواجسي و بين أسوار حريتي المحترقة و شوقاً إليك ؛ جداريات من كــل عــصور القهر و الخوف و عصر الحريم و سيف مسرور و مظيــات فرعون و هارون . و بيني و بيني حد الحلم نصل من ذهــب غير أني برغم كل الحواجز ، و التمائم ، و لعنات العــصور الوسطي، و أمسيات بؤسي ؛ أحبك .

في غيمة صمتي أقبع بركاناً يتربَّص باللحظة الآتية ؛ منكسراً تحت وطأة اللحظة الآنية ، و أطل علي الزمن المباغت علّــه يشرح لي كيف ، و لَمَ سجن الصمت يسري بأوقاتي .

هما لحظتان من الزمان السرمديّ ، و البد المــسّهد و الليــل المدجج بالوجع .

أبغي القصيد فيطلُّ من شباك ذاكرتي حرفان يبتسمان على استحياء .. و يمضيان ، و أراني ظلاً مسجّى برصيف العمر يحياني غيري ، و يردّني أنثى مستهلكة منهكة متعبة ؛ مُضغة غثّة في فم الزمان ، أتعطر ؛ يخنقني عطر البغايا ، و تتوه الحروف في غياهب الرؤي المفزعة . أتمنى لو أرتاح لو تتركني أو تقتلني تلك الروح المتقمسة . كل رؤاي ، أفراحي ، أتراحي ، لو تتركني أو تقتلني علّي أحيا أو أموت . أفقد كلّ يوم حرفاً ، أفقدني كل يوم نفساً من أنفاس الحياة ، أفقد كلّ يومٍ ذكرى ، أفقدني يوما بعد الآخر ، أفقدني ظلاً ، و صورة مبهمة في رؤيا لا أتذكرها في الصبح التالي .

آه لو تتركني تلك الروح

آه لو أستردّني

آه لو أستردّني !

أعرف أني أحمل وجهي دوماً حيث أسافر ، حيث تهـــاجر روحي ، و حيث يطويني الضوء بعيداً عني . حين أراك بوجه غامض، أراني هناك تحت الهدب، و فوق الـــشفة المرســـومة وداعاً ... لذا لا أملك أن ألعنك الآن.

و كملاك مدنَّس بالخطيئة ؛لم يعرف كيف تكون هويّته فوق الأرض ، و تحت السماء على حافة من غياب ، مقدساً كان وجهه بعيونهم الغبية ، ضعيفاً كطفل شـــقيٍّ جميـــل علـــى راحتيها، رمادياً وحيداً على صليب الذكريات ، كان يعرف أن الطرق تلفظ خطى المارين ليلاً ، تماماً كما تحاول العيـــون إنكار المشاهد ، و براءة الرصاصة نفسها من دم الـــشهداء و تتنصل العربة من صرخة الطفل ، كما النار تزعم :

" **لا ... لم ألتهم الفقراء عمداً ، اسألوا الماسَّ الكهربائي** ".

لأنه كان يعرف كل ذلك؛ كان يرفع قدميه قليلاً عن قلـــب الطريق ويسير بعيداً عن ظلّه ، إلا أنه كان يعرف أن هذا لن يبعده كثيراً عن الأرض و لن يقرِّبه أبداً من السماء .

كان يحب الليل أكثر ؛ فهناك يكون رجلاً كاملاً لا يسلبه الضوء ظلاً و لا تنهشه العيون رؤى وجوهاً . لم تعد الأماني حساء الصباح و خمر المساء ، كان يبحث عن لون آخر للبقاء و يردد ما كانت تتلوه عليه دوما :

" يوما ما سأتزوج نجما لم يشرق بعد ، و ألد لهذا العالم نبيَّه الأخير فتكون القيامة ..! "

ليس لأنه كان يحاول جاهداً ألاَّ يخلع وجهه حين يلقاهم ظنّاً أنهم يعرفونه ، و لكن لأنه كان يعرفهم حقاً ، كان يعرف أن خلف تلك الوجوه الحديدية و البلاستيكية أناس لم تتسقط عنهم آدميتهم بالتقادم ، و لم تستطع فجأةٌ ما أن تسحق بداخلهم القدرة علي الاندهاش .

كان يحبهم ، لكنه يخشي أن يسري جليدهم إليه، ينفذ لعيونه ، فتتجمد اللحظة و تصير عيناه قضيبين من زجاج ماتت خلفهما – بغتة – الحياة . كل شئ في النهاية مآله للبحر ؛ الرمل، العشق، الوجع، و حتي الذكريات.

كان يفكر كيف لا يكون الموت بحراً .

ألا ينبغي أن نموت جميعا غرقي ؟ فثمَّة علاقة حميمية بيننا و بين البحر ، حتي اصطدام العربة بالجسد العابر أليس غرقاً

لوعي عقلين حيّين في عبثية غفلة ألقاها موج القدر ؟ . هكذا كان يعشق البحر ، و هكذا كان يعشقها تلــك الموجــودة دائما و التي لا توجد أبداً .

حاضرة كالغياب كان يراها ، كالبحر في امتلاكها كل شئ وجعه ؛ ذاكرته ؛ وقته ؛ و حتى وجهه . كانــت تملكــه . تملكه و لا تقاسمه فجيعة الضياع. كانت تــسكن ملامحــه ، يراها في مرآته و يعلّق عليها أحلامه ، انتصاراته، انتكاساته، و يودعها آخر أمنيات المساء :

" تصبحين علي وجع جديد يا حبيبتي "

كان يراها كالبحر تماما و كالبحر كانت تملؤه غرقاً .

و تقول الريشة:

لا أرسم أكثر مما أرى .

بورتريه لها

النائمة تلهو ليلاً ، تجمع أقماراً شتّى بجعبة أحلام مثقوبة ،
لتسقط قمراً بكل طريق تعبره.

هاك حبيبي قمراً لم يسقط بعد ، وجهاً بسماء حرة يعبرهـــا الأطهار قبيل الفجر ثلاثاً و ثلاثاً قبل الاستشهاد ، هاكَ حبيبي وجه بلادي ، وجعاً بعيون الأطفال يمرون أمام الدهر طويلا و حنينا ضوئياً يعبر رحم الخوف ذات ميلاد.

النائمة تلهو قليلا، تجمع ثمر الكرز من بستان طفولتها، و تمرر أطراف أصابعها علي وجه الشمس قليلا، هاك حبيبي آخـــر مكاتيب الشمس: الماضي أسناني الساقطة، و الحاضر عطـــن الأيام الحبلي بمساوئكم، و الآتي حصان ضوئي يخشى سياط مسائكم .

كل الحكايا كانت تؤدي حتماً إلى فقدانه، إلى اشتعال حروب جديدة على حافة كل وطن جديد تبتدعه، و كل حلم على حافة التصوف كانت تشتهيه .

كل الحكايا كانت تبشر دوماً بوجه قبيح تعود إليه آخر كل نوم و فقد جديد مرسوم بكل طريق .

هي كانت تحبه ؛ ألهذا كان عليها أن تفقأ عين الحكايا ؟!

حين خلعت عنها الذكريات و حاولت خداع المرايا بأن البلابل تسافر أحياناً في صور الأحبة لذا فليس الذي تراه المرآة وجهها و ليس المسافر حبيباً قديماً، لم تعِرْها المرايا اهتماماً : أيا طفلتي ؛ أمازلتِ ليلاً تحبكين الحكايا و تعيدين ترتيب الوجوه ؟!. الفضاء مشغول يفتش قلب الضحايا، و مخلفات الحروب عن جميل أخير يستر به عورة الشمس، و أنتِ طفلتي وحدك تنقلين المكاتيب بِمدًى من غبار.

ليس سوى كمان خفيّ أو شيء من الموسيقى الغامضة في الخلفية لتضفي حلالاً ما على حالة من الحزن أو حالة من الفشل، ثمة سبب مقنع يبرر الغيابات المباغتة، يمنطق حالة من

الفقد و يلبسك قرط الطمأنينة الكاذبة. يمكنـــك أن تعتـــبر النوم حالة عاطفية، عبور من منطق لا منطقيّ إلى لا منطـــق يحاول فرض نفسه علي عشية يوم ينبلج من يوم آخر .

و إن كان ثمة قرصان ينقضّ بين لا منطق و آخـــر يـــذكّرك بضعفك الكوني و بالمنطق الوحيد للحزن، و الخوف يُـــسمى الكابوس .

و ها هي (رحيل) أخرى، رحيل آخـــر في زمـــن يحتـــرف الرحيل، و الغياب .

تنتظر رحلاً شبحاً يأتي بعد الوقت بوقت آخر خارج حدود الدهشة، و الانبهار، يأتي جديداً، غريباً و واقعيًّا أكثر مـــن حجم الحلم، و أكبر كثيراً من حجم مصادفة.

تنتظره في هدوء ممسكة بكتاب و تستمع لموسيقي بتهوفن .

ليس أجمل من الأحلام السرية لا يشاركنا فيها أحد، و كأننا نخشى عليها من الحسد، و ليس أكبر من وجع فقدها، كوب من النسكافيه، و وجه خشبيّ ندفن فيه ملامحنا لنتجرد مـــن

الوطن، و نلمح الوجه القبيح للحب، و ملامحنا الذاتية الـــتي تسكنه مهما حاولت القصائد و الأغاني أن ترسم به وجـــه المحبوب، كل هذا في النهاية لم يكن سوي تذكرة سفر مـــن زمان لزمان، و من حلم إلى حلم، و من معبود إلى معبـــود آخر، كل هذا في النهاية لم يجعل منها سوى رحيل أخرى أو رحيل آخر في زمن يحترف الرحيل و الغياب.

مرة أخري تحمل مكاتيب الشمس و كألها ضـــاقت ذرْعـــاً بالقمر، و بضوئه الفضيّ، و كألها الآن تنتظر النهار، و تعشق قرص الشمس كعين الحقيقة في وجه السماء.

هي لم تستطع يوما أن تكتبه، لم تستطع يوماً أن ترسمـــه أو تغنيه قصيدة أو موالاً عشقيّاً، و بكائية فريدة، بل علّها الآن تعتقد ألها لم تستطع حتي أن تراه، و هاهي الآن مرة أخـــرى تنقل مكاتيب الشمس كاحتجاج آخر علي العتمة و محاولـــة ضوئية للخروج من هواء ممتلىء بعفونـــة جثـــث الأحـــلام المجهضة، و أشباه الأحلام الميتة أيضاً.

لم تكن يوما حبيبي لي، و لم أكن مطلقاً طفلــة الــشمس. زعمت دوماً أنني وحدي ابنة القمر و كلّهنّ بعد ذلك جئنَ سفاحاً . وحدي أنا طفلة القمر الشرعية ونجمته الأثيرة و ها أنا الآن أقطع حبل أوهامي القمريّ، و أعلن كامل ولائــي و بنوّتي للشمس، الآن أنا طفلة الضوء وحــدها موســيقى بتهوفن تهدهد مهدي، و تنقلني من فضاء لفضاء، من مــيلاد لميلاد، و هاهي مكاتيب الشمس صكُّ الحياة الوحيد ؛ صك عشقي الشرعي.

هامش: في كثير من الأحيان ليس أجمل من سقطة. ترتفــع لمكان ما شاهق، أعلى من احتمالات الكآبة، و الرصــانة ، أعلى من احتمالات الكتابة، أوسع من اتساع حدقات عــين الحقيقة حين تنكرها العيون المفتوحة أمامها، لتسقط ســقطة واحدة بين طبقات الهواء المختلفــة لتخترقــك و تمخــض أحلامك، أفراحك، أتراحك، هواجسك، و تزج برأسك في ذبذبات جديدة.

هي سقطة واحدة و يكون ميلاد جديد او موت جميل.

هامش آخر: أنا الذي أحبك أنا المدين لكِ بكــل شــيء . .
(فولتير)

عن ولد

سيقولون أحمر الخدين، دنِسُ الشفاه، لا تلسعه حرارة الشمس و لا تخجل منه البنات، يستعين به العجائز . سيقولون أشعل الفتن الجاهلية، أيقظ الموءودات ليئدهن ثانية، تعبر بجواره الطيور دون أن تراه ، يحبه الفقراء و يلتف حوله الغوغائيون، سيقولون همجيٌّ جداً، يضحك أكثر من اللازم حين تداعبه الأطفال، و يبكي دون سبب واضح حين يموتون، سيقولون مجذوباً كذّاباً .

سيقولون يتسرب كالقصيدة إلى عقول بناتنا، ينقش أسماءهم علي جدران الشوارع، كثير كأسماك مهاجر بلا مواسم، و وحيد كشجرةِ عجوز في فناء بيت جداتنا، مريب بلا وطن مدموغ علي بطاقته، و لا اسم تدونه عصا شرطيٍّ المرور، ينسلُ كَالنيل إلي كل حدودنا، تخطئُه كل المدافع و لا تخذله أبداً اليمامات، سيقولون قلبه طريق طويل و متسع، يمتلئ كثيرا بالمارة، و العابرين، ولد أخضر يرقص في الطرقات

حاملاً في قلبه قنبلة موقوتة، و سيعترف.

إنه القارب الذي أخذ البنات إلي الجنة البعيدة، يُخرج عيونهنَّ المفقوءَة من جيبه ليريهنَّ أحلامهنَّ القديمة، و يُقدِّس أسماءهنَّ الهاربة من دفتر أوراقهنَّ، إنه قِطّ الجيران الهارب من ســطوة عطفهم إلى براح الأرصفة، إن قلبه طريق طويل، و متــسع، يمتلئ كثيراً بالمارة، و العابرين، و لكنهم لا يلحظون كيــف تخفت الضجة في آخر الصخب، و يبقي قلبه طريقاً طــويلاً، و متسعاً، مهجوراً، و وحيداً حيث لا أحد يبغي البقاء .

خمس سنوات أو أكثر قليلاً، و أنا أقف هكذا بعيداً أحدّق فيك، و أقدّسك، كحلم بعيد، كإله قريب، و أنت الجنوبيُّ العنيد الذي ليس كمثله شئ ؛ طاعن في الكبرياء و الرحيل، كلما أوغلت في اعتناقك اللاشئ كلما قدّستك أكثر . أراك هكذا، رأساً مرفوعاً، و صدراً يصدُّ الريح، و خطًى ترفض الاتجاهات الأربعة

الآن أراك ولداً ككلِّ الأولاد، كائناً مشروخاً- مثلي تماماً - و مثل الهامشيّ الذي أخفق حين اعتنق الأحلام الفاخرة فأيقظه الجدار، كائناً بقلب مجبور و ضحكة ملوّنة، وحيداً و مكسوراً .

من بعيد ؛ تشبه الولد الأخضر الـ يحمل وطناً في عينه، ووطناً في قلبه، و وطناً في قلمه، و الذي يهب محبته - تلك التي لا يملك غيرها — للجميع . و من قريب تشبهني، قلباً طاعناً في السن، و ذاكرة مشوشة . استطاع الموت أن ينال

منك قليلا، حين سكن وجه أمِّك ؛ أصاب رأسك شئ مــن سكون، أنا لا أتهمك بخيانة حلمي أو كسر خاطري، فقــط أمنحك آدميتك بقلبي و أزيح عنك أعباء إلهية كلَّفتك بهــا عيون جنوبية تسكنني .

حين سَألتُ الشوارع – التي طالما حدثتني عن عشقها لك – لم تذكرك أو ربما قالت : ولد كآخرين ؛ ينتهكون أرصــفتي بصورة يومية، أما أطفال الشوارع فهم أصــدقاء الجميــع، علَّمتْهم الطرقات ألاّ يذكروا الوجوه جيداً ، و أن أقــدامهم وحدها تعرف أين ينتمون، و الجبال لها ذاكرة كــالهواء، و قلبها أخرس، لم يجبْني حين سألته عن اسمك، المفتــرض أنــه محفور به كما اعتدتَ أن تقول.

صدِّقني أنا لا أتهمك بالكذب، أنا لا أتهمــك بــشئ علــي الإطلاق، فقط اخلعْ عنك ثوب الحبيب لتكون ابني الأعرج، كباقي أبنائي المشوهين، أنا الوطن، أنا ذاكرة الوجع، ألملــمُ أبنائي المجروحين بكبدي و أشيِّد لهم بيتاً من ورق.

لو كان صدري يتسع للجميع لأخفيتهم عن عيون القتلــة، و لحرَّضتهم علي الاختباء به طويلاً كي لا يصيروا ســفَّاحين

و دجّالين أو كذّابين علي أحسن التقديرات، لكنك تعرفني جيداً، كائن مشروخ تماما مثلك.

صدّقني .. حين أقول لك أني حاولت أن أجعل صدري أكثر رحابةً، و أن أحمله علي أن يتسع للجميع ، و صدقني أكثر حين أقول أني حاولت مراراً أن أحتفظ فقط بصورتك القديمة بداخلي تماماً كما فعلت مع الجميع و لكن لا حيلة مع ذاكرة مشوّهة، ربما كنّا ملائكة و ظننا أنّا أنصاف آلهة ؛ فانتهي بنا الأمر هكذا، وطن جميل يسكنه العطب ؛ و أبناء مشوّهون، هنا الفراغ هو سيد الموقف، وحده قادر علي طرح احتمالات جديدة، أما أنا فسأبقى هكذا أعيد ترتيب الوجوه، و أُضمّد ما استطعت من شروخ بقلبي، و أتأمّل المشهد.

رؤيا ٢

حين ترتبك السماء هكذا نكون نحن الأرضيون في حيرة كبرى من أمرنا، يلتبس الليل، و النهار، ويتساقط دعاؤنا فوق رأسنا زخات زخاتٍ، عيوننا الآن لا يغريها البكاء، والأحزان كذلك ستضل قطْعاً طريقها في الصعود إلى الله ؛ لأن السماء الآن مرتبكة جدا، والأحلام لا تستطيع أن تدَّعي أنها رؤى، ولا مساحة من النوم تصلح الآن لأضغاث الأحلام لذلك فحين ترتبك السماء هكذا نصبح في حيرة كبرى من أمرنا !

أصداء من الداخل

لا تسألني الآن أن أتجلّى في حضرتك أنثى تستحيل شـــعراً، وألواناً وعطوراً، إنني منذ اختناق الحمامات في المدى ؛ أدور بدُفي في الزارات وفي الحانات أُسبّح بالموت، وآيات الرحيل.

أيها النورانيُّ ؛ لك أتلو صلاتي علّي أتحرر من هـــذا الجـــسد السجن . لك أبحِر في موجات الطهر عسي الله يغفر لي مـــا تقدّم وما تأخّر من ذنبي . لك أهتِك ستر الروح فيوضاً مـــن حريتي و بحوني، وأرتّم عمري طلاسم لا يفهمهـــا ســـواك، تتمنطق كلماتي، وتسقط مصلوبة علي حافة أوراقي فتـــضيع صلاتي سدى، وأبقى أنا... أنا، أنا الموغل في حزني، الموغـــل في رحيلي، الموغل في إثمي وغربتي ، وأرى وجهـــي بكـــلّ الوجوه ؛ فتقتلني الرصاصة مرتين، ويفرُّ الكون أمامي يحجب وجهه المحروق عن أعين الأقمار، ويلملـــم أطفالـــه العـــراة، ونساءَه المبقورات، يستر عورات رجاله المصلوبين، ويمضي ،

تتهاوي النيازك على حافته المنهارة، وترسل شظاياها بقلبي المبتور وأبقى أنا شاهد هذا العصر ؛ أستر عورتي بورقة شجر، و تكشفني عين الله، وتشرقين الآن أفعى تزرعين الخبث فتحصدين المرض، ويبقي هو وحده يحلب القمر ليرضع الصغار، ويمتلئ الأفق غباراً ونيازكَ متناثرة ، ترقصين وتجمعين الشظايا ليكتمل الهلال و لا تجئ الرؤيا، وتفرّين من المشهد حتى تسقط عيناك، ويقودك ملاّح أعمى إلى ظلّك فتدوسين العينين، ويُبدّلك الله ظلاً جديداً لا يفنى ؛ لكنه يبقي مفقوء العينين ، من قال أن المشاهد تموت بموت العيون ؟!

و تكتبين حروفك على ذرات الريح لتعود إلى رأسك ملعونة بصفير أبديّ، فتشرقين الآن أفعى تزرعين الخوف لتحصدي الأرق، ويبقي هو وحده يحلب القمر ليُرضع الصغار .

أيها الفلك المرصود ؛ كل ما أملكه الآن ليس لي، يتغير الجلد أربعين مرة في الفرض الواحد، وبضعاً و عشرين مرة في النوافل، والصغار أبناء الريح بدّلوا العيون ألف مرة و لم تتخلص الذاكرة من المشاهد، يستغفر المدار أكثر من مرة

وحتى هذه الساعة لم تتـــبْ الكراكب. وانحنى الشيخ لراقصة تقبل الحجر الكريم وتمنح الذهب للصغار فـــاحتمى الـــذئب بالغار حتى يذوب العابرون، وكان الجمع يردد التحيـــات، وتتشكل لغتك في الزارات، أبجديتك تبدأ باليـــاء، وتنتـــهي بألف مقصوفة الهمزة ، فتشرقين الآن أفعى تزرعين الجهـــل لتحصدي الخرس، ويبقى هو وحده يحلب القمـــر ليرضـــع الصغار ؛ يجمع الأيام حتى يعطيك زمناً جديـــداً في احتفالـــه بميلادك، والأفق شيخ ضرير تجلده كل الأزمان يبصق المـــارة كلهم في وجه المرايا، وتخلع الشمس ثوبها من شدة الحـــرارة تتدلل ملء أنوثتها، والأفق ضرير يمضي يقرأ ما تكتبه الريح، ويطلسِم ما يعبر ذاكرته من سطور ؛ فيضيع المشهد ســـدى، ولا تجد الآيات من يتلوها.

عطر

الأغبياء، يضحكون بوجوه بلهاء، يستيقظون دون أن يفتحوا عيونهم و يتحركون كآليين غير مُـتقني الـصنع بكـروش منتفخة. يعملون كماكينات مزعجة مُخلَّفين وراءهم أبخرتهم السامة ثم يعودون إلى بيوتهم يأكلون، يثرثرون، ويتكـاثرون كحشرات كبيرة .

الرجل الذي يأتي دوماً بلا أسماء حاملاً بسمة مرعبة، وعيوناً جوفاء ؛ فراغها الأسود يمتصهم تدريجياً يفـاجئهم دائمـاً محمَّلا بالهدايا، يمرُّ علي البيوت واحداً واحداً، يحفظ أسماءهم جميعاً ويمنحهم ما لا يرغبون، يعطي هذا رأس طفله، ويناول ذاك أحشاء أمه، وهكذا كان يفاجئهم دائما بجعبة هـداياه المدهشة، والأغبياء لا يملكون حتى أن يغلقوا أبوابهم، يفتحون بخنوع مطلق، وانكسار مقزز، والرجل البهلوان الذي دومـا

بلا أسماء يرقص علي دقات قلوبهم المرتجفة ببسمته المرعبة، يخرج قلوبهم من جعبته مبتورة، ومغلّفة بعناية فائقة، ملائكيةُ فيروز في الخلفية ؛ لم تُخفف إطلاقا من وطأة المشهد ، كذلك جدائل يارا الشقراء لم تُلفت نظر أيًا من الحاضرين.

البنت الصغيرة التي لا تشبه يارا فيروز في شئ على الإطلاق كانت عائدة إلى بيتها، جميلة حالمة، تحتضن كتبها كعادة كل البنات الحالمات، دقت الباب لم يفتح أحد، دقت بعنف، وجنون أيضا لم يفتح أحد.

حين اضطرَّتْ لاستعمال مفتاحها الشخصي ؛ فاجئها رأس أبيها تحت قدميها، وحين مدَّت بصرها أكثر كانت أشلاء العائلة كلها مبعثرة بالمكان، والدماء تُشكّل خطوطاً مكتوبة بلا معنًى، جدير بمشهد كهذا أن يمحي ذاكرة بأكملها، ويوقف الزمن تماماً، وجدير به أيضا أن يذهب بالكلام إلى اللامكان، ويتركها حزينة خرساء للأبد لكن هذا لم يحدث، بالأصل هي عادت للبيت لتضع شريطتها الحمراء - تجعلها أكثر جمالاً وإثارة - تفادت الأشلاء، والدماء قدر

استطاعتها، دخلت حجرتها النظيفـــة، وضـــعت شـــريطتها الحمراء، وانطلقت تبحث عن حبيب جديد .

في الطريق كانت السيدة المضبة – التي فقدت عقلها منـــذ زمن بعيد – ملقاة على الرصيف بجروحها المتقيحة تتجمـــع حولها الحشرات والذباب ؛ كأنها قطعة خراء طازجة .

الولد الذي يعي كل شئ، والذي طالما حذّرهم من فجاجة المشهد استسلم للنعاس، هو لن يستيقظ حتى يأتي نبيٌّ جديد ينقذ هذا العالم، هو هذا النبي؟! .. ربما، على أية حال هـــو نائم منتظر نبيًّا أو نبوءة . في عنبر المواليد، الأطفال جمـــيعهم ولدوا بابتسامة مرعبة، و عيون جوفاء . النخاسون مقابـــل هداياه المرعبة باعوه نساءهم، أما النـــساء فهـــن عـــاهرات بالفطرة، هدايا، لا هدايا، كلـــهن (حنحـــور) ، وكلـــهنّ مُعدات دوماً للإخصاب .

سأتركك الآن تلهو وحيداً، جميلاً، وضاحكاً. أسمع صوت الصحراء والهواء ولقائهما المحموم دائماً، صوت وحشتك الذي لم تدركه بعد . تضحك كثيراً أنت، وأنا أرقبك عن بعد، وراءك، أمامك، حولك.

سيحاولون حمايتك كثيراً، يوم وُلدتَ أخفوك عن العيون ثلاثة أشهر كاملة، وللآن ترتدي خرزتك الزرقاء . لا أحد يحبك مثلي، كم مرة حاول النمل القضاء عليك ؛ ونفضته بعيدا عنك برفق بالغ ؟!

حرارة الشمس أيضاً أصابتك بهلوسات عدة، ظننتُ حينها أنك تراني، ظننت أيضاً أنك أحببتني لكنك فزعت لمجرد رؤيتي، لا تقلق.. لم أغضب منك .

تضحك كثيراً أنت، تألف الأشياء بسرعة مبهرة. النجوم الغبية تتوقع الاستئثار بك لمجرد سهرك ليالٍ عدة في محاولة إحصائها، والبنات الجميلات يرقصن كثيراً أمامك ويصوبنَ

عيوهن الحوراء صوب عينيك. لا أحد يمتلك عيوني، ولا أحد يسمع صوت الصحراء بداخلك سواي.

أنظر! وقتك قد آن الآن، هكذا مكتوب في اللوح المحفوظ، لكني سأُمهلك قليلا لتلهو أكثر، لأتأمل وجهك العجيب هذا، وحيداً، جميلاً، وضاحكاً.

ضوضاؤك ترتفع الآن، صحراؤك تتسع للداخل ، والبنات الجميلات لا يغرينَك بالتعرّي، لكن الوجوه الغائبة لا تغريك كذلك بالرحيل. عابث أنت كطفل صغير جميل، وأحمق بإمكانه الجلوس ساعات طويلة تحت الشمس يلهو برمل الصحراء، ويرقص علي صوت وحشته. أصدقاؤك يعرفونني جيداً، ولا أروقهم علي الإطلاق، لا أحد منهم مثلاً ينعتني بالعين السوداء الطيبة .

لو تعرف كم ليلة سهرت هكذا لا أفعل شيئا سوي أن أتأملك، أصدُّ عنك الحمَّى، وخطايا الرغبة، وفي الطرقات أصدُّ عنك العربات الطائشة، ماذا فعلوا هم لك؟!

انظُر! هذا الجسد الملقي بالطرقات كان من الممكن جدا أن يكون لك، لكنك أنت الأبيض، هكذا أراك دوماً، وأصدُّ

عنك كل الألوان الأخري. ربما تكرهني أنت الآخر حين يلوكوني بألسنتهم العطنة.. مازلت أذكر نظرتك الفزعة حين لمحتني يوم الحمي، أسامحك الآن، لا تفزع، سأُمهلك قليلا لتلهو .

أن تكبر أمام عيني هكذا، وأنت الموعود لي منذ يوم ميلادك، أتدري كم يعني هذا لي؟! كان من الممكن جدا أن تكون ولدي، عيونك أيضا سوداء، واسعة، وجميلة، ووحيد أنت دائما، سارحا، وسعيدا، تنتظر شيئا لم تُدركه بعد، وضجيج مبهم ينبعث دوما من صدرك، أود أن أعتقد أنك هكذا تخاطبني، وحدي أسمع صحراءك بالداخل .

لا تسمع لهم حين يقولون " عين سوداء شريرة "، ولا تلتفت للتعاويذ البلهاء التي يصيغونها كثيرا لأموت .

مرِّن نفسك مثلي علي الرؤية الأعمق، وافهم أنني فقط كذويك ؛ أؤدي عملي.

كم أمهلتك لتلهو قليلا؟، كم صددت عنك الحمى والعربات الطائشة، أرأيت كم طيبة أنا ؟!!

هم عشاق الضوضاء، والأضواء القاتلة، عاشقو البنات

والدجل، صخب في عيونهم، صخب في ألسنتهم، صخب في قلوبهم الجاهلة. لكنك ولدي: هـــادئ، وحيـــد، ضـــاحك ورصين، أود أن أراك دائما هكذا، لكنني أخاف عليك مـــن الناس، أتدرك كم أنت جميل؟!

قد يأكلونك، يضعون رموشك كحـــلا بعيـــونهم العميـــاء، والشمس كذلك قد تسرق ضحكتك البيضاء.

انظر! كم تعج بهم الطرقات؟! لهاث في ركضهم، لهـــاث في مشيهم، لهاث في نومهم. لكنك أنت ولدي، وأنـــا دائمـــا أرقبك عن بعد،

وراءك،

أمامك،

وحولك .

كمان وحيد

أكتب عن بنت وحيدة لا تراها عيون الناس، تمسك مسبحة وحيدة مثلها، وتعد أيامها فوق حباتها . تتذوق طعم الرحيل كل صباح، وطعم الخريف كل ليل. ملّت الأحلام فتخلّت عن اسم منحته لها العرّافة يوم ما، وتنازلت عن كونها حلم ليلة صيف.

و الآن تواجه أيامها عارية بدون أسماء. ترفض أن تدوّن تاريخها في يومياتهم البالية ذلك أن الزمن لم يعد كافيا ليحوي انكسارتها.

رفضت محاولات الأصدقاء للذهاب إلى ورش العمل، وتمرير شئ سحري كالكتابة إلى حافظتها ذلك أنه ليس من المهم أن

تمارس طقوس النجاح، ولكنه من الضروري جداً أن تفشل بجدارة، تتذكر زمنا كانت فيه رحيل، وكان هو فيه يوسف، و كان أبوها شيخا كبيرا. الآن أبوها شيخ ضرير، وهي عصاه البالية لا ترقى حتى لإزاحة الكلاب عن طريقه لكنها مازلت تحب الغرباء.

و لكن ماذا لو لم تقتلها الوحدة بصورة كافية للخلاص!؟ وظلت تتأمل يديها الوحيدتين، وتستعيد صور الغرباء؟، وماذا لو ظلّت صورته لوقت أطول من هذا تكسو حبات المسبحة؟ كيف ستستطيع إذن أن تعد أيامها الذاهبات؟ كيف ستعرف أيامها أصلا؟

ليس الطاغوت هو من شكّك في حبها لله، ولكنهم الناس العاديون الذين يمرون بذنوبهم يومياً أمام واجهات المحلات المغبشة، وكذلك أمام السيارات العابرة دون أن يخافوا أنتدهسهم، بل والأدهي من ذلك أنهم يمرون بذنوبهم بصورة يومية أمام الله دون أن يصيبهم الخجل.

فقط يذكرون أمام الله ذنوبها، ويدعون أن تختفي تماما مـــن أزمتهم اليومية مع المصرفيين، ومع باهم إلى التوبة.

لكنها الآن تخشي أن تمارس حقدها على العاشـــقين، أو أن يقف قلبها المكسور حاجزا بينها وبين الله، ربما لو لم يكـــنْ أسمر هكذا لما استطاع أن ينساها بصورة فورية، وربما أيـــضا لو لم يكن ظله هذا الطول لكان قلبه أكثر نقاء .

أما هي فعلى الشوارع وزر الغبار العالق بقلبها، وعلي الغرباء وزر الوحدة المتاخمة لظلها أو الأقرب منه قليلا إليها.

أما أنتم الأقربون إلى الله من قلبها، وصورته، وظله المبتـــور سويا فعليكم أن تحددوا مكانتـــها مـــن الله، أن تقفـــوا، إن استطعتم بين مغفرته، وبينها، وإن تلقوها بالحجر أو تمنعوهـــا من دخول المساجد أو ربما كان من الأفضل لـــو قايـــضتم المصرفيين علي ظلها أو علي شعرها المنـــسدل دون ســـبب واضح مستقيم دون تجاعيد .

ربما أيضا يمكنكم مقايضة ذنوبكم بذنوبها أو مقايضة السماء بين هتك سرّها، وبعض الحسنات التي تعرفون جيدا أنها لـــن

تنفعكم أصلا. لكن ربما يضع هذا نهاية لائقة لقـــصة بنـــت وحيدة تعتقد أن عيون الناس لا تراها، و تمسك مسبحة تحمل صورته دائما.

أحكي عن بنت ملأ عيونها الخجل فأصبحت عيون الناس لا تراها، لم تعرف جيدا كيف تعبر الشارع لذا كان عليها دوما أن تسير بمحاذاة الرصيف، وتمد عيونها بعيدا إلى ظله. ربمـــا استطاعت الأرصفة أن تقربها قليلا من أطفال الشوارع، وأان تري داخل قلوبهم الصغيرة أن أفواههم الـــتي تُلقـــي نـــيران (البنـــزين) إلى عيونكم، أطهر كثيرا من أياديكم البيـــضاء، وأقرب إليها ألف مرة من ظله البعيد. لم تكن صغيرة بما يكفي لتمارس معهم الطفولة تحت المطر لكنهم كذلك لم يلحظـــوا التجاعيد بقلبها فكانت اللوحة جيدة، ربما لو لم يملأها اللـــون الرصاصي هكذا لكان من الممكن أن تشرق شمس علي الفور بأطراف اللوحة. لكنها هي الأخرى كانت تعترف بذنوبها، وتخجل كثيرا من الله، وحين تنكّس رأسها، ويصطدم نظرها بالأسفلت تنفلق الدمعة نصفين، ولا يراهـــا النـــاس، وتمـــد بصرها الخجل خلسة إلى ظله البعيد.

كان بامكاها هي الأخرى أن تدَّعي أها ليست هـــي، وأن ظلا دخيلا ليس له علاقة بظلها هو الفاعل، وأن تمشي يوميا تحت عيون الله بفخر كامل باحثة عن بنت أخرى وحيـــدة لتمتعض جدا من ذنوبها، وتتساءل كيف يمكنـــها أن تمـــشي هكذا بذنوبها أمام عيون الناس!

لكنها كانت تعرف قلبها أكثر من اللازم، وتدري أن الظل لا يرتكب الذنوب، كذلك كانت تعرف أن ظله لن يستطيع التعرف عليها، ولا مشاركتها المحبة وعلامات الهيام، كانـــت تعرف أن ظله ميت كأرصفة الشوارع لا يمكن أن تصادقه أو تشعر تجاهه بالأمان، وأن الخطوات البعيدة تسلب الذكريات يوميا ما يمكن أن تثير به ظلا ما ليستحث صاحبه علي النظر قليلا للخلف.

لكن هذا لم يمنعها أبدا من أن تمد بصرها خلـ . ة إلي ظلــه، ولو حتي من خلف دموعها المكسورة، كذلك ننب رغمـــا

عنها تحب الناس ولو لم يروها، وتحاول جاهدة أن تقنعهم أن آثامها ليست بأكثر من زبد البحر بالكثير، وأنها ستحاول كذلك أن تخفيها عن عيونهم، وستسأل الله يوميا في صلاتها أن تختفي ذنوبها تماما من طريقهم إلي المصرفيين، وألا تَحول بينهم و بين بابهم إلى الجنة.

أكتب عن بنت ملأ الخجل عيونها فأصبحت عيون الناس لا تراها.

كمان وحيد ٢

كان من الممكن أن تعترف للعدم بقدسية المعنى ؛ إحـــسان الزمان بما تجود به يده، وإن كان هـــو دومـــا مـــا يلفظـــه القلب،كان من الممكن أن تعترف أن الخيط الرفيع هو أجمل كثيرا من عدمٍ بلا خيوط علي الإطلاق، ولكن الطريق علّمها أن لا خير فيما لا تريد، وأن طيور الفرح لا تبارك أفراحـــاً موهوبة للقلوب المشروخة.

كان من الممكن للطريق أن يكون أطول، وأن تمتد الأحـــلام بطوله للفراغ، تتمدد أحلام الفرح بطول العمر، والانتظـــار، وكان علي قامتها أن تكون أكثـــر صـــلابة، وأن تعتـــرف للرمادي بفضله علي قلبها بدلا من استسلام سريع لأحمر يملأ العينين دماء، لم تعرف لون الفرح جيدا ربما لهذا يأتي الالتباس عليها، لو أنني كنت الله لرفضت أن أكون الله، ماذا بإماكني أن أقدمه للعالم؟ !كيف بإمكاني أن أُصلح هـــذا العطـــب؟!

ولأن الإنسان ها هنا قد وُجِد بعطب أبدي، وعدم قابلية للفرح، فماذا بإمكاني أن أقدمه للعالم؟؟ كيف أُصلح هذا العطب؟!! من فتحة الباب، ورغم عيونها الضيقة ترى جيدا كيف يتألمون، ترى أحزانهم الصغيرة حتى وإن حاولت قلوبهم الكبيرة إضفاء شرعية على قسوة الحدث، وجمَّلت صورة الحبيبة أكثر، هناك في لوحاتهم المبعثرة لم يكن الكثير ليختلف عن القليل، ولم يكن للآلام طعم مختلف، نكهة الحزن ثابتة، و وتريته قابلة دوما للتكرار، مَن يموت وحيدا، ومَن يموت برصاصة، و مَن يموت عشقا، للموت طعم واحد، ولون واحد، وعنكوبتاً واحدةً تلفُ الجميع بخيط واحد أيضا، ربما لهذا كان للوحدة مذاقا خاصاً، ونكهة لاذعة محببة لقلوبهم جميعا، وإن لم يلحظوا، لو كان المجد يوما للشيطان لما عذّبتنا ذنوبنا هكذا، ولكن الملائكة مملُّون جدا لا يصلحون للصداقة ولا للترفيه، ولا يبعثون البهجة المؤقتة، ولهذا اخترنا أن نكون بشرا، بوجوه ملونة، وجلد سميك وتقديس غير عادي للفراغ، يتمنى الكثير منا لو يكون الله، لكنني، وإن كنت لا أستطيع أن أختار قدري بنفسي لا أبغي أن أكون الله، ماذا

بإمكاني أن أقدمه للعالم ؟!! كيف أصلح هذا العطب ؟!!، لو أنني أستطيع أن أوزّع البهجة على الناس، ربما فعلت ذلك، لكن كيف، وللكل في الكل حلم مشترك، ولأن مساحة واحدة من الحلم تكفي لكل البشر فليس بالإمكان على الإطلاق أن تكفيهم نفس المساحة من الفرح، وإن كانت السماء هكذا مزدحمة بالدعوات فكيف لي أن أوزّع البهجة على الجميع بالتساوي؟!! لذلك فها أنا أقولها للجميع، وحتى لا يسألني الملائكة يوما إن كنت سرّاً قد تمنيت ذلك أو همست في حلم ما أريده ؛ أنني وإن كنت لا أستطيع أن أختار قدري بنفسي لا أبغي أن أكون الله، وأنني ليس بإمكاني أن أُقدِّم أي شيء لأحد، وأنني لا أُقدس الشهيد، ولا أُساند الرصاصة، ولا أُعاتب العاشق، ولا أُبرِّئ الحبيبة، ولا ألوم البهجة، ولا أنتظر الفرح، ولا أُدعي المعرفة، ولا أطلب الغفران، ولا أنتظر الفَرَجْ، ولا أمِّل الكرب، وإنني ها هنا لا أبغي أن أكون الله.

رؤيا لا منتهية

سيدتي حزينة كبجعة وحيدة،
بيضاء وحيدة كقمر
تُكوِّر المساءات بين أصابعها كيويو،
ولا تضحك،
و الهارب في الخلفية
يواصل محاولاته المستمرة للغواية .

وجه

هو لا يعرف كيف ينسلخ تماما عن ظله ليصبح هو حقا. ظله الذي احتاج إلى ثلاثين عاما كي يُرتبه، ويعبر به من غبار إلى غبار، في بهاء عاجيّ، ويتزلق الغبار من فوقه تاركا أثرا ما.

أخذ يُهيئ نفسه لمشية ملائمة لرجل مطاطيّ هارب من ذات غالبا ما كانت جيدة. في لحظات النقاء يخجل عادة من ظلّه، ويولي وجهه شطر الفراغ، المرآة اعتادت الظل أكثر.

لست نقيا كالأتقياء، ولا الغبار قد لوَّثك تماما. في شارع ما تذكرك الأرصفة جيدا، وحين تضحك هكـــذا — فجـــأة — ودون خطط مسبقة، دون أن يطاردك ظلك قليلا، ويحـــرِّض فيك الغبار، تصبح طفلا جدا، وتكون نقياً، ليس أكثر مـــن الأتقياء، ولا أقل من طفل ضاحك.

ربما أنت لا تعرفك جيدا، لذا فإنك تخشى ظلك أكثر، ربمـــا اتساخ العالم حولك أوحى لك بصورة مضللة ما أن تحـــب الغبار. باستطاعتك أن تصاحب ظلك إلى أماكن عـــدة، وأن تُصاحب الواجهات اللامعة، كما أنه بإمكانك أن تـــصافح

الخوف، حين يأتي الصمت هياً كموت، يحاصرني وجهه، فلا تفلح آياتي في رده عني، ولا تفلح الطريقة في شقّ طريقي إلى يقين مواز.

بلادي بلادي ؛ بلادي الكاذبة، تلعق في الليل يـــد المـــساء وتسجد للشمس كل نهار، وتلد كل عام مجوســا جـــدد، ووحدي أنا ورثتني الكآبة، علّمتني الطريقة وعمَّدتْني بدمها، وتركت لي وهمي وحزني، والآن تمنحني وجهـــك، وقلمـــا أعرج لنمشي سوياً في حضرة الخوف، نحرث الوهم ونحصد، ودوما هذا الفراغ.

ونبتهل أيضا

وفي ركن قصي في آخر العتمة أراهما هناك، جنينين صغيرين، يرفرفان وجلا، وأسمع: قالا لأنّا ما أتينا، بل بعثنا بين أشـــياء تحيط بها الحياة، وما كان للنار من مجوس إذ جئنا، ومـــا .. وما، يا رب؛ امنحني أذناً لا تسمع أوهامي، وعيوناً لا تـــرى إلاّكَ، و امحُ وجهه من أركاني قليلا، و امنح وطني بعـــض

بياض القلب حينها، لماذا ؟!.. ثم تُسرع إلى ظلك كي تحتمي من ذاتك. غير أنني موقنة تماما أن ساعة ما ستأتي، حيث يتفتت الظل، ولا يبقى سواك، وحينها لن تكون وحيدا تماما. في العالم وجوه كثيرة أجدى بالمصاحبة من ظلٍّ خائف، وبإمكانك – إذا استطعت أن تعبُر خوفك – مصاحبةَ الكثير من الاطفال بقلبك، وأن تقرأ عيونك جيدا في المرآة بالمرة المقبلة.

هل فكرت يوما أن الله قد خلق أصابعك طويلة ليكون بإمكانك أن ترتب النجوم؟!

لست قدّيسا بالمعنى المفهوم، كما أنه لم يكن مقدّرا لك أن تكون كذلك، لكن باستطاعتك أن تكون راعيا، وأن تتخلى قليلا عن وجه الذئب، هو لا يلائمك تماما، وإن كان قناعا يفلح مع أغلب الوجوه. في حالة من التصوُّف قد لا يكون بإمكانك حقا أن تصل إليها، ستعرف أنك لست مضطرا أن تعترف لظلك بهذا الفضل عليك، وأنك رغم الخوف المدقع آخر كل غبار، ورغم عودة ظلك معك، تبقي وحيدا جدا ولا ينفعك ظلك حقا .

لأني كطفلة رحت أرتّب لك أحلامك، وعلّقت معطفك بقلبي، فلا دفء لك إلا به، نفضتَ الحلم عن وجهك قليلا وشرّعتَ باباً للرحيل. بحثت عن الأنثى فيَّ، وأنا امرأة طفلة لا أعرف عن فن الدلال سوى بعض أمنيات الخير، وأحلام الرحيل الجميل، لا أعرف كيف أواجه الصبح بنهديَّ، كيف وللفجر طعم الشمس وخير النخيل؟! وحين يحين المساء، تكون النجوم جميلة علي صفحة النيل، فكيف التغنُّج وللناي شجن الأحبة وعرق الرحايا؟، وفي آخر اللحن ينسل موت الجميع!

يبكون حين تعض الأيام قلوهم البيضاء . يتمدد لون الـــدم علي الإسفلت إذ تدهسهم سيارات عابرة / تنطلق الزغاريد في الفرح الأبيض / ويموت الطفل من الجوع أحيانا أيـــضا / لون الأنابيب الشفافة، والعقاقير المخنوقة داخلها/ سن الإبرة يثقب جلد الطفل الشفاف ؛ لكنها لا تعبأ حقـــا، فـــالكون ضيق جدا، لا يحتمل حكايا جماعية.

الأزرق وحده يعرفهم

آه يا أطفال القلب جميعا، ينحسر الكون قليلا حول أغانيهم إذ ينتحبون، وترقص أقمار عابرة بعيوهم الخذلانـــة، وسمـــاء مزدحمة بالأدعية تحجب صخب الـــشمس قلـــيلا، هـــم لا يحتاجون نبيّاً يحمل عنهم كل خطاياهم، الآن وقـــد ســـئموا حلماً لا تدخله الألوان، يقفون بين حدود الله وبين جـــدود الأوهام، تعبرهم أشجار الأرز ويمر الحنظل بـــين الـــشفتين

فخلّفني أبخرة سوداء بكل المساوئ العتيقة ، وفي حضرة الخوف، حين يأتي الصمت هياً كموت، يحاصرني وجهه، فلا تفلح آياتي في رده عني، ولا تفلح الطريقة في شقّ طريقي إلى يقين مواز.

بلادي بلادي ؛ بلادي الكاذبة، تلعق في الليل يد المساء وتسجد للشمس كل نهار، وتلد كل عام مجوسا جدد، ووحدي أنا ورثتني الكآبة، علّمتني الطريقة وعمّدتني بدمها، وتركت لي وهمي وحزني، والآن تمنحني وجهك، وقلما أعرج لنمشي سوياً في حضرة الخوف، نحرث الوهم ونحصد، ودوما هذا الفراغ.

وتبتهل أيضا

وفي ركن قصي في آخر العتمة أراهما هناك، جنينين صغيرين، يرفرفان وجلا، وأسمع: قالا لأنّا ما أتينا، بل بعثنا بين أشياء تحيط بها الحياة، وما كان للنار من مجوس إذ جئنا، وما .. وما، يا رب؛ امنحني أذناً لا تسمع أوهامي، وعيوناً لا ترى

إلاّكَ، و امحُ وجهه من أركاني قليلا، و امنح وطني بعـض الدفء وبعض الخبز، و امحُ حدود البلدان، و امحُ يـارب كذلك هذا الوجع الصارخ بالألوان، واجعل كل الأطفـال بأجنحة، وامنحني أنا الأخرى جناحين، يا رب .. لا تسمع دعوة هذا الكاذب، ولا تجعلها كذلك ترتد عليه، و اثقبْ عين الموت قليلا، ولتتغير أبعاد الضوء كذلك حتى نكـون أصحاء بلا ظل وتكون الأشياء واحدة بلا أذيال تربكنا حين نراها، يا رب و اجعل لي نبياً يشتهيني لأكـون قديسة في هواه، نبشر هذا العالم بصدق، و إن يـصلبونا، فيـا رب لا تبعث من ينتقينا، ودَعني أموت شـهيدة، اجعـل لي نبيـاً يشتهيني، ولكن ليس كنبي هذا الزمان الذي يعبدونه، هو لا يصاحب الفقراء، ولا يعرف كيف يغني، وليس له علـى أي نخلة شبر من قدم، هو ابن المدينة تماما، ابن المدينة بـالفطرة، يرقص ليلا بالشوارع، لا ليعشق بل ليغوي، يُغـني بـصوت إلكتروني لكل الشعوب، ويرفع في الصبح ألف علم، وحـين يوزع الخبز على الفقراء، يمنحهم الخبز والإسورة الحديديـة، وقد يَهِب قليلا من الموت لمن لم يمت.

يستطيعون أن يبكوا كثيرا، ويبلّلوا الأسِرَّة و إسفلت الشوارع العريضة، كذلك قد تختلط دموعهم بماء السماء، ولكن قلوبهم تبقي سوداء، وحين يكنسون الشوارع الرئيسية جيدا ويحرصون على تعطير المساء، يشف لون الليل قليلا، ولكن كيف ينتهك الغبار نكهة الندى إلى هذا الحد ! وتمر قوافل عدة بسور حديقتها السمراء، يتعفن هذا التفاح الخارج تواً من باب الجنة، والأحلام - أفيون الشرفاء - تتكسر خجلاً أحيانا على سور حديقتها أيضاً، تعطيهم منديلاً فضياً إذ يبكون، تخفي التفاح الخجلان من عطن الأيام الأرضية الموبوءة، وتشيح بعينيها قليلا عن هذا اللون الأسود بالقلب، وتُكرِّر اسم الله كثيرا، وتُذكِّر كل الصدف المارة بخاطرها أن الصدفة - القدرية أيضا - تأخذ من دفء الله قليلا، وتمس الحزن العابر من أيام الي أيام أبعد، لكن الكون حولها ضيق، وعيون ضيقة للغاية تحرس أبعادها بهدوء، تتفرج الآن عليهم، يبكون حين تعض الأيام قلوبهم البيضاء . يتمدد لون الدم

علي الإسفلت إذ تدهسهم سيارات عابرة / تنطلق الزغاريد في الفرح الأبيض / ويموت الطفل من الجوع أحيانا أيـــضا / لون الأنابيب الشفافة، والعقاقير المخنوقة داخلها/ سن الإبرة يثقب جلد الطفل الشفاف ؛ لكنها لا تعبأ حقـــا، فـــالكون ضيق جدا، لا يحتمل حكايا جماعية.

الأزرق وحده يعرفهم

آه يا أطفال القلب جميعا، ينحسر الكون قليلا حول أغانيهم إذ ينتحبون، وترقص أقمار عابرة بعيونهم الخذلانـــة، وسمـــاء مزدحمة بالأدعية تحجب صخب الـــشمس قلـــيلا، هـــم لا يحتاجون نبيّاً يحمل عنهم كل خطاياهم، الآن وقـــد ســـئموا حلماً لا تدخله الألوان، يقفون بين حدود الله وبين حـــدود الأوهام، تعبرهم أشجار الأرز ويمر الحنظل بـــين الـــشفتين كثيرا، وأزيز أزرق يغسل وهج القلب الجوعان، آه يا أطفال القلب المنسيين، تعزفكم أغنيات القمـــر الخرســـاء، وسمـــاء مزدحمة باللعنات تحجب عنكم شبق الشمس قليلا، يمشون في

بلاد الله المأهولة بالجرذان، ويجرون خيبات العمر بأذيال من دهشة، وقلوب آلية تهدر بصدورهم الصماء، ينكسرون بين أصابعكم، يحترقون تحت مدافعكم، ويتناثر رمادهم ليستقر بعيونكم، وأنتم و دوما الملعونون بهم، أطفال القلب الغرباء، غربان تنهش رحب ضجيجكم، تاركين عطناً ما بفضائكم البراق، لا ؛ ليسوا ديدانيينَ بالفطرة، ليسوا طفيليات موائدكم، أطفال القلب السخفاء منثورون رغما عنهم بين شظايا عوالمكم، فمعذرة يا هواءكم البعيد، نحن الخانقون المختنقون مازلنا رغما عنا وعنكم تحت موائدكم نموت.

إليه حين صادقته الدمعة وطاوعته البكاء

فلتفرح، يخرج منك الحزن يا ابن القلب، وتثمر أتراحك تفاحاً أخضر، لست نبياً أو قديساً أو مجذوباً، لكنك ابن أيامي الذي نذرته يوما للإله، تخرج من كفيك خطاياهم، وتعود جميلا كما كنت يوم ميلادك، يا أبيض في الليل، وأبيض في الصبح، وأبيض ساعة يأتون وحين يموتون، فلتفرح

حين يكون الحزن مشاعا، لست كمثل المنسيين المغلوبين بين الأيام الموبوءة، لست مثل الباكين علي النار وللنار المحـــوس الممسوسين بشبق المدن الممقوتة، فلتفرح يا طفـــل القلــــب، كنت جميلا حين تفتحت الشمس علي عينيك، كنت جميلا حين فرت أوطاني علي أصابعك الطفلة وكنت جميلا حـــين أتتني حبيبتك تسألني عليك فلتفرح حين يبكي القلب عليك، وحين يضحون مساؤهم في الليل علي شباكك، يعرفك الطير وينفض عنك هذا الوجع الزائف المنقـــوش علــــي عينيــــك، تعرفك الشمس وتلمع رغما عنهم أســـنانك في الـــضوء ، فافرح، حين تخبئ أسماءك عند حبيبتك الفارّة من دفتر حزنهم العتيق، وافرح أكثر حين تعرف أن عيونك إذ تنطفئ تعرف أيضاً كيف وبالفطرة تصل إليك، تصل إلى الأزرق بالأعماق وتُعانق وردة فرَّت رغماً عنك إليك، وافرح، ولأنك وحدك ابن النهر فافرح، وافرح حين يكون بكاؤك فضياً، والأحزان جميعها سوداء يا ابن أيامي العتيق، أنا لا أملك من الأجوبة ما يارك حقا هذي الأسئلة، وأنا الموغلة في قدمي.

لا أحمل من الأوطان ما يكفيك، وما يعلّل غربتك، واشتياقك للجذور، ما يبلل هذا العطش الخانق للبكاء، لكنني أملك ما تيسر من فرح فافرح لأني كنت يوما نذرا منسيا، ولك افترشت هذا الوجع واغترفت البحر وحدي، وصببته بين أصابعك وبين أصابعك أكتمل، وافرح لأني ما ملكت يوما من جراح قدر ما وهبت لك، وافرح لأني يوما ما قد أكتمل .

الجنوبي

أذكر حين كنت صغيرة، طفلة هادئة، حالمة، وجميلة كنت دائما بصحبة أبي . .كنت أعشق أبي، وكنت طفلته المفضلة، دميته المدللة، ولكني كنت دائما حزينة، سعيدة، وحزينة،أذكر مسحة الحزن بشريط ذاكرتي كاملا، حين كنت لا أجد سببا للحزن كنت أبتكر بخيالٍ طفولي خصب سيناريوهات عدة للحزن، وللكآبة لأظل حزينة، وشاردة . إلا أني كنت سعيدة أحلم، وأنتظر ما سيأتي. أثق في القادم، أحب ما ملكت.

كانت الصباحات دائما طازجة، وطعم الحلم يمنحها نكهة محببة. الطرقات كانت مسرحا دائما للأحلام، والسعادة، والسماء البعيدة، كانت الغموض البهي، والطريق الأرحب دائما لعيني، وطفولتي. أبي هذا الشامخ الحنون صوته كان دوماً الأمان الكامل، لا شئ أكثر من صوته للطمانينة، والبهجة، والطاعة أيضا .

أذكر حين أصابني المرض – الذي كثيرا ما كان يحدث – كان أبي يأخذني علي كتفه، ويقص لي الحكايا الصغيرة ويُمسِّد وجعي بكفه الحنون حينها كان الألم، وبطريقة سحرية خالصة يختفي تماما، وبعد فترة وجيزة أغفو على نبرات صوته، ومرة أخري صوت أبي .

أذكر كذلك الصعيد، الجنوب الشامخ الصامت، وأنا الجنوبية الخالصة، وأبي الجنوبي الخالص نذهب إليه كسائحين، أنا بملامحي الأجنبية عليهم، وأبي بوجهه الحنون، وهنا كان صوته يختلف، ويتلون بلون الجنوب، الجنوب الخالص فيأخذني في يده بفخر مازلت أبتسم كلما تذكرته – رغم أن الأنثى في الجنوب لم تكن تدعو علي الفخر على الإطلاق – يأخذني في يده، و يمضي بي في الطريق رحلة طويلة، وجميلة، وبيوت مختلفة، وأناس طيبون، ملامح بريئة لا تعرف الرتوش .

ليل الجنوب يختلف كثيرا عن ليل القاهرة. سماء مبدورة بالنجوم، ونسيم يحمل رائحة ساحرة. ليل الجنوب لم يخيفني و أنا التي اعتادت الخوف المَرَضي حين كنت طفلة، ومازال الخوف يصاحبني حتي الآن، ومازالت نوبات من الخوف غير

المبرر أيضا تجتاحني من حين لآخر. أما ليل الصعيد فيحمل معه الدفء، ورائحة الأمان، بيت العائلة الكبير، والأطفال الكثيرون ، نلعب دونما تعب، ونضحك بلا نهاية ؛ فضاء متسع وبراح بلا حدود .

الآن كل شئ تغير. اختلفت الأشياء كثيراً ، ولا أدري لماذا؟ الصعيد لم يعد جنوبيا خالصا، والبيوت هُدِمَت لتحل محلها المنازل ذات الطوابق المتعددة، وبيت العائلة إنضم بعزة مطلقة إلى الحظيرة لتقطنه بكل حب الماشية الأصيلة التي – وللآن – لم تغير عاداتها. أما العائلة أو ما تبقي منها فتحتل منزلا من أربعة طوابق، والبقية مبعثرة في اتجاهات الأرض الأربعة. أبي لم يعد يملك صوته الحنون، و لا عقله الذي طالما حلمت لنفسي بمثله، لم نعد نتحدث كما كنا سابقا، و لم أعُد طفلته المدللة ولا يأخذني في يده بفخر في الجنوب البعيد. ليست الشيخوخة و لا فعل الزمن، ولكنه العطن. شئ أصاب كل شئ. شئ كالعثة يأكل الماضي، والذكريات، ويخلف حمضا بالقلب، والناس الطيبون إن لم يروا فقد سمعوا كثيرا عن الفضائيات، والرتوش فتلونوا .

و أبي ضاق به الفضاء فاختار ثقب الإبرة ليختبئ به ويَئِدُني بداخله. لا أدري كيف، ولا حتى متى تغير كل شئ؟ كيف

تسربت الأشياء هكذا من بين أصابعي، وكيف تلاشى الحلم رويداً رويداً مخلّفا وراءه كل هذا الوجع. الأكثر وجعاً أنـــه حتى الذكريات لم تعد كاملة بداخلي. هناك العديـــد مـــن المشاهد المفقودة الآن. أذكر أنني اعتدت أن أملك كماً أكبر من الذكريات، والفرح، و لكني الآن لا أتذكر جيـــدا. الآن كل شئ يحرض على البكاء. الطرقات أعباء إضافية، وطاقـــة أخرى لا أملك أن أهبها للفراغ، والبيت ســـرير الـــشوك، وأصوات الترع، أما الأصدقاء فهم حقيبة السفر ، الأحباء في البعيد البعيد، كشئ آخر في الذاكرة البعيدة المبهمة.

أشتاقك يا أبي،

وأشتاقكم يا أصدقائي،

وأشتاق الجنوب.

حوار بين صديقتين علي مسافة ملتبسة

رحيل ظل العالم
يوما تتزوج نجما
لتلد لهذا العالم نبيه الاخير
ثم تكون القيامة

أعرف أنني أحبكِ في مكان ما بالداخل، مخبًا، وبعيد، حين أجده سأحبكِ، ذلك أنه لابد لي وأن أفعل ذلك فالسماء لم تترك لي خيارات أخري، أذكر أني أحببتك بالفعل في بعض اللحظات، مثلا حين ذهبنا نحن، والأقربون- الأولَى قطعا بالمعروف - إلى الملاهي، وقتها كنت تضحكين كطفلة سعيدة بالفعل، ووقتها تمنيت لو آخذك لكل الأُرجوحات، وارسم تلك الضحكة البريئة الصافية على وجهك للأبد، وأذكر أنني حينها كنت أحبك، لا أدري لماذا، ربما أحببت أن أكون أمك، وأن تكوني طفلتي، ربما شئ بداخلي كان

يظن أن الصورة ستكون أجمل هكذا ؛ طفلتي أنـت، وأنـا أمك، لا أجزم بذلك على الإطلاق فقط أقول ربما، للحق لا أذكر لحظات أخرى. هل تعرفي أنني أخشى جداً أن أصبح أمًّا؟ أشعر أنني سأكون قاسية جداً، فاشلةً جداً، المفزع حقا أنني أخشى يوما أكون فيه أما، وتجئ لحظة لا يتضح فيها أن هواجسي تلك ليست محض أمومة مخزونة، ورقيقة، ولا أجد الصورة مرسومة بعناية سعيدة ومفاجئة كما علّمونا بكافة أفلام السينما المصرية، والروايات الكلاسيكية، بـل تـأتي اللحظة لأراني بكافة أرجاء البيت أمـا قاسـية، وبليـدة، ووحيدة.

ما تقلقني حقا هي (رحيل)، لا أدري ماذا أصنع مع تلـك الطفلة يا أمي، لا تكبر أبدا، لا تفهم أبدا، تصنع شرنقة فوق الأخري من أحلام بلهاء، وتحدق في السماوات طويلا، هـل تعرفي أنها للآن تنتظر النجم لتتزوجه، وتصدق أن نبيـا مـا سيأتي من أحشاء هذا الوهم، وتكون قيامة !. لا أعرف ماذا أصنع معها، متى تدرك أن لا حلول وسطى في هذا العـالم، وأن النجم بعيداً جداً، وكذلك لا يتزوج، هي لا تفهـم أن العالم ليس هي، وأنك أيضاً لست العالم، لا أعرف كيـف

سأخبرها أن الولد الطيب لا يدري كيف ستمسي رحيلـــه، وأن عليه يوما ما أن يجد الخيط الأبيض للرحلة ليعيش سعيدا، ويموت كرجل عادي عاش سعيدا بعض الوقت، وأكل الخبز، ومات. كيف ستكبر تلك الطفلة لتفهم أن العالم أحمق، وأننا جميعا نكذب لنعيش، ولنجعل الصورة أقل وطأة تماما كمــا تفعل نشرات الأخبار، هكذا ببساطة عليهــا أن تفهــم أن الأخطاء بديهية، الأم قاسية وبليدة، والظل وحيــد، وأنهــا ليست سوى هذا الظل . أما أنا سأفكر لِـــمَ لم نجلس أنــا وأنت نتحدث مثلا عن سارتر ؟، المضحك أنني لم أقرأ لـــه حرفا، ماذا عن ناصر ؟! أخبرتني كيف لبست حدادك حـــين مات لكني لست أحبك، لست مثلي، ولست مثل (رحيل) ، لا أعلم، ملتبسة جدا تلك المسافة بيني، وبينك، ولا أدري لماذا تطل (رحيل) هكذا بسخافة في قلب الأحداث .

الفهرس